...سده للشيخ الرئيس
...لنفس وشرحها

٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الرئيس الاوحد العالم ابو علي بن سينا رحمة الله عليه رحمة واسعة

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

الهبوط هو الحركة من علو الى اسفل مع الشعور وبالشعور يباين السقوط اذ يقال للحجر النازل من اعلى الجبل سقط ولا يقال هبط ووصف النفس بالورقاء اظهار الشرفها ومبالغة في علوها اذ لا يقال اذا قال جاي الاغر المحجل ابلغ من قوله جاي الاغر المحجل فان الموصوف اذا لم يبرز الا في الاوصاف يشوق النفوس الى عظمته ولهذا قال سبحانه وتعالى ان المتقين في مقام امين وما يلقاها الا الصابرون فابرز ذاتهم باوصافهم تنبيها على علو مكانهم وشبهها من بين الاشياء بالطير ومن بينهم بالورقاء اذ ليس شيء في هذا العالم مما يتحرك بالارادة اتم واكمل من ذوات الجناح في الهبوط والصعود ولا شيء اتم واكمل من ذوات الحمام في الاستعداد لذلك ولعله انما شبهها بها من بين سائر الطيور لكثرة استئناسها بالانسان

محجوبة عن كل مقلة ناظر وهي التي سفرت ولم تتبرقع

اقول النفس الناطقة لما كانت ماهيتها مبراة عن ممازجة المواد منزهة الحقيقة عن الكون والفساد لاجرم تعالت عن ادراك الابصار وتقدست عن احاطة الانظار فلذلك استحال الادراك عليها لماهيتها لان امتناع الادراك البصري على الشيء اما ان يكون الشيء الموجود غير قابل الادراك او قابل لكن المانع من الادراك حاصل والموانع عن الادراك مذكورة في الكتب الحكمية والاول ما كان مجردا عن المادة كالباري جل جلاله والعقول والنفوس وما كان بهذه الصفة لا يحتاج في عدم الادراك الى المانع في حصول الادراك الى ارتفاع ذلك المانع ولهذا قال وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع

يريد بها انها لما كانت على ما ذكرنا في جهتها من السمات والصفات المتعالية صارت مستوحشة من مواصلتها على غير الجنس وملابستها غير الطبع من الانس لكن لما لزمها القضاء الالهي والحكم القدري السلكي في هذا العالم السيال وقرنها مع الوهم والخيال اللذين هما منبعا الباطل والضلال لم يكن بد من الانقياد

والتسليم والمواصلة لهذا البدن المستقيم لاجرم كان ذلك الانقياد على هذا الوجه لازما النوع كراهية ونفور طبع ولكن لم يكن ذلك الحكم في جهتها بديعا حيث سمعت خطابه ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون قوله وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع اي انها بعد الاتصال بهذا العالم واستعمالها الالهاني المقاصد والمآرب والمآكل والمشارب وتراسها على الحواس وبعثها النجوم والحراس حصل لها عشق وهي بالجسمانيات واتصاف الكرى الى السفلانيات لطرهما سلك الابد والمليكية والرياسة الانسية اذ صادف منها محلا حلوا وقلبا كريما فتمكن بها تمكن مخلب البازي من فريسته

انفت وما سكنت فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع

يريد انها اذا نظرت الى علو منزلها وتقدسها انفت ان تحط هابطة الى الحضيض بدنها نزوله لا لا ابها القرار على خلاف الطبع والاستقرار على غير الموضع ولهذا قال انفت وما سكنت ولكن لما اجبرت بالتسبب على الهبوط ومجاورة الاوهام والخيالات زين لها حب الشهوات فتناولت من تلك اللذات على احلاء انواعها الفت ذلك العاجل وارخت زمامها الى الانس الى ذلك العرض الباطل ونسيت المركز الاول والمحل الارفع وهذا المراد بقوله الفت مجاورة الخراب البلقع

هو ط

واظنها نسيت عهودا بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع

اقول انه يتعجب من شدة اتصالها وكونها الى غير جنسها واصبابها بالكلية الى غير المباين الملايم في زعمها اظنها فما راى لذلك محلا ولا استطاع نسيانها لتلك العهود والمنازل التي ابرزت عنها الهبوط وهذا هو المراد من قوله واظنها نسيت عهودا بالحمى

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الاجرع

عن ح

وكن مع

اقول في هذا رمز والمراد بها الهبوط اول الهبوط اذ الهاء اول الكلمة والمراد بقوله في ميم مركزها اي اول الهبوط كان عن اول مركز من مراكز النفس اذ الميم اول الكلمة وانما كان كذلك لان المركز الذي ابرزت منه المعنى للهبوط هو اول مركزها بالشخص وهو مغاير لمركزها بعد عودها ومفارقتها لهذا العالم بالشخص وان اشتركا في مطلق المركز من حيث هو مركز نوعي اذ مركزها بعد العود مغاير لمركزها وقت البدو بالشخص وان كان ذلك المركز واحدا

وحدة نوعية والتامل يكشف عن ذلك قوله بذات الاجرع وصفا لذلك المركز بطريق التجوز وكان ذلك الاجرع ملعبا عبارة عن المكان الملايم لاتصال الاحباب والتنزه مع الخلان فان ذلك المركز يجري هذا المجرى

علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت بين المعالم والطلول الخضع

اقول في هذا ايضا تجوز والمراد من الثقيل الجسم الحيواني الذي هو الهيكل الانساني اذ من اوصافه انه ثقيل واما المعالم والطلول فظاهر وهو مواضع الحي واثارهم والخضع التي مايل الاتها بعضها على بعض لبعد عهد الساكن بها وهو اشارة الى هذا العالم العنصري الذي هو معرض للزوال على جهة التجوز والموضع المعروف في اللغة العربية خلاف العالم العلوي

تبكي اذا ذكرت عهودا بالحمى بمدامع تهمي ولم تتقطع

قد ذكرنا العهود والحمى قوله بمدامع تهمي اي تنصب بسرعة وسهولة من غير تكلف بل بمقتضى الطبع ولم تنقطع يريد بها متوالية القطرات متتالية العبرات وهذا البحث عرضي

وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربع

وهذا ايضا بحثه عرضي والله اعلم

اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص عن الاوج الفسيح المربع

اقول المراد من الشرك الدنيا اذ الشرك من عادته ان يبذر فيه الحب ويراى فيه للطاير فيجي بطبعه اليه ويسقط بارادته عليه اذ به قوام حياته وحصول لذته في تصرفاته وان كان تحته مكر وخديعة اذ به يحصل الطاير في الشرك والمراد بالقفص الهيكل الجسماني الذي هو مركب النفس الناطقة ووكرها الذي تاوي اليه وتعتمد في التصرفات عليه والاوج هو المكان العالي من الفلك والحضيض هو المقابل له ووصفه بالفسيح مبالغة كالسمع والبصر بالاضافة الى السامع والمبصر

حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع

اقول هذا اشارة الى حالة الموت التي هي الغاية اللاحقة لوجود النفس في هذه الدار التي لا بد منها كما قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت كل نفس ذائقة الموت وهذه الحالة من كمالات النفس وهو اول كمال

يحصل لها بالاضافة الى الكون في هذه الدار واول كمال يحصل بالاضافة الى تلك الدار الاخرى

وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع

اقول هذا اشارة الى حصول الموت بالفعل والحليف اشارة الى ذلك البدن المعطل المطروح بعد المفارقة واضافة الكل اليه لما فيه من معنى الجمعية اذ هو مشتمل على جمع من الاجزاء والقوى والاعضاء ووصفه بكونه حليف التراب اشارة منه الى كون هذا البدن ملازما لحفرته غير مفارق لتربته وذلك على مقتضى طريقته كما اشرنا اليه انفا قوله غير مشيع اشارة منه الى حال قصور هذا البدن في الشرف والفضل بعد مفارقة النفس له وطرحها اياه معطلا عن قبول التدبير والتصريف

هجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع

اقول الهجوع هو النوم وقد يسمى الموت نوما ولا بد من بيان حقيقة النوم على راي هذا الناظم فاقول النوم ترك النفس استعمال الحواس الظاهرة بالتدبير والتفاتها بالذات الى البدن في ذلك المصلح والتفاتها الى ما يحصل من التصرفات بحسب القوى الوهمية والفكرية والخيالية فقد اشترك الموت والنوم في مطلق ترك استعمال تلك الالة للنفس لكن الموت ترك كلي مع عدم قبول الاستعمال لتلك الالة بالكلية والنوم عبارة عن الترك على بعض الوجوه في بعض الاحوال مع كون البدن قابلا للاستعمال فقد تميز النوم عن الموت فلهذا سمي الموت نوما والنوم موتا والغطا اشارة الى البدن وما فيه من الاوهام حال كونها متعلقة به ولتقمصها له والتفاتها اياه في هذا العالم ومفارقتها له الى ذلك العالم ويسمى غطاء لان النفس اذا كانت في البدن فهي منغمسة في عوارضه وعلايقه المادية وملاحظتها اياه من الجهة السفلية لسعيها في مصالح هذا المزاج واعداده اياه لتمام التصريف والاستعمال خالصة بالكلية الى الالتفات الى المطالعة لذلك العالم العلوي فاذا فارقت البدن فقد تخلصت من تلك العلايق فانحسر عن بصرها الغشاوة والكشف نظرها عن ذلك الغطاء فابصرت بالعين الحقيقية المحققة ولاحت لها اسرار الحق على الصفاء وتحققت ان حالتها الاولى حال الغفلة

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع

اقول هذا اشارة الى حصول الكمال للنفس بعد المفارقة لهذا البدن وانها فارقت المقاصد الكلية

وحصلت على اتم الكمالات العلوية بحسب مقتضى طبعها ومباديها وانفردت لمجالسة الاحباب ومؤانسة الاصحاب راتعة في رياض تلك الازهار كارعة في زلال تلك الانهار متغردة في شواهق تلك الاغصان باصناف الالحان هذه اشارة منه الى ثمار الطاعات والتخلق بالاخلاق الصالحات ولهذا روي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لما ضربه اللعين قال فزت ورب الكعبة والدوح هو الشجر وصفه بكونه شامخا مبالغة في علوه وارتفاعه وقوله والعلم يرفع كل من لم يرفع لان تلك المنازل والمناصب والشرفات والمواهب انما يحصل له بالسعي في تحصيل العلوم الحقيقية والتخلق بالاخلاق المرضية وهذه المنازل هي الثمر والعلم هي الشجر. **ولاي شيء اهبطت من شاهق سام الى قعر الحضيض الاوضع**

قد سبق ذكر الاوج والحضيض **ان كان ارسلها الاله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الاروع**

اقول هذا اشارة الى الباري عز وعلا انما ضرب الهبوط على النفس من العالم المقدس والزمها الارسال الى هذا العالم لتكسب الكمال الانساني وتتشبه بارباب العالم الروحاني وتبرى عن النقص وهي وان كانت بسيطة الجوهر في ذاتها جليلة في صفاتها الا انها في اول الفطرة جاهلة وعن العلم بمصالحها ومضارها غافلة اذ وجهها في تلك الحالة كدر وسطحها مظلم لكنها مع ذلك قابل للتنور والصفاء سريع الكشف والانجلاء ومن القضاء الالهي انها لا تقدر على نيل الكمال ولا تحصل على صفات الجلال الا بالتعلق بالابدان وتستعمل تلك الالات على حسب مدتها من الزمان فحينئذ يحصل لها الكمال العلمي والعملي وبعد المفارقة تكون في جوار رب العالمين تتلذذ دار لا وابدا بتلك اللذات التي لا يمكن وصفها كما قال عليه الصلوة والسلم هناك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونظهر من ذلك مراده الى قوله وتعود عالمة بكل خفية

فهبوطها ان كان ضربة لازب لتعود سامعة بما لم تسمع

هذا المصراع معناه ظاهر **وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع**

معناه كالاول ظاهر **وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع**

اقول هذه اشارة الى النفس اذا لم تستكمل بالعلم والعمل ولم تزجر عن الفواحش والقبائح بل انقلبت بوجهها عن تلك الجهة واقبلت الى هذه الجهة حتى استولى عليها عشق اللذات الجسمانية وغفلت عن اللذات الروحانية بقي من

الهالكين

153

الهالكين مردودة الى اسفل سافلين لابثة في الظلمات بعد المفارقة لهذا البدن متوالية الحسرات متصاعدة الزفرات متتالية العبرات تنادي باعلى صوتها بعد مفارقتها وموتها واحسرتا على ما فرطت في جنب الله لو ان لي كرة فاكون من المحسنين قد سدت الطريق على نفسها ولم تلتفت الى اصلاح حرفتها لشقوتها واركونها الى دار الغرور وعدها المغرور **فكانها برق تالق بالحمى ثم انطوى فكانه لم يلمع**

يريد ان النفس اذا حصلت حيز هذا الحضيض السفلاني على هذه الشقاوة بعد مفارقة البدن وحرمت السعادة واللذة في العالم الروحاني فكان وجودها في ذلك العالم حين وجدت واشرفت للهبوط في تلك الحالة وان اصابت وسقطت فلما هبطت لم تعد الى كمالها الى ذلك العالم بعد مفارقة البدن بل لبثت في الظلمات وحصلت في الدركات فكان نورها الاول وبارقها في ذلك العالم حالة الوجود برق وجد في الافق هنيئة ثم انطوى ولم تعلم لسرعة زواله وانطفائه كان لم يلمع ولم يحصل له وجود ولهذا قال سبحانه وتعالى سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

انعم برد جواب ما انا فاحص عنه فنار العلم ذات تشعشع

اقول هو غني عن الشرح ۞ وهذا اخر ما قصدنا من الشرح واومينا اليه ودللنا عليه وقد جرينا فيه على سنن طريقة الرجل ومسلكه وراعينا قانون مذهبه ۞ والله اعلم بالصواب ۞ والحمد لله على سوابغ نعمه وجزيل فضله وكرمه وصلى الله على سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر محمد خاتم الرسل والنبيين وعلى اله وصحبه الطاهرين اجمعين وسلم تسليما كثيرا ۞

تم في قلعه ارسل صانها الله عن الافات ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الاول سنه ٩٦٢